**المحاضرة الثانية: الآداب الشرقية القديمة**

 يرى جورج هيجل أن في العالم الشرقي بدأت الخطوة الأولى للروح وأنه" في آسيا أشرق ضوء الروح ومن تم بدأ التاريخ الكلي"[[1]](#footnote-1)، فمجد العديد من المفكرين الشرق وتأثروا بحكمتهم.

1. **الأدب في بلاد العراق القديمة:**

 بلغت حضارات الشرق القديم أوج ازدهارها وقدمت للعالم القديم الكثير من الابتكارات التي خدمت المشترك الحضاري الإنساني، وجعلت الشرق مركز إشعاع حضاري بامتياز، ما جعل مركز الثقل الحضاري العالمي يميل منذ فجر التاريخ لصالح الشرق القديم. ففي العراق، ومنذ الألف الخامس ق.م، ظهرت إحدى أقدم الحضارات الإنسانية، وهي الحضارة السومارية، وإلى السوماريين تعود أولى المحاولات الفلسفية الجريئة الخاصة بأصل الكون والوجود والأساس في مكونات المادة. وإلى هؤلاء أيضا ترجع أعظم مساهمة في المشترك الحضاري الإنساني من خلال ابتكار مرحلة مهمة من مراحل تطور الكتابة، ويتعلق الأمر بالكتابة المسمارية. فقد بدأ المؤرخون السوماريون من عام 2000ق.م يكتبون ماضيهم ويسجلون حاضرهم ليخلفوه لمن يجيء بعدهم، ووصلت إلينا أجزاء هذه السجلات لكنها لم تصل إلينا في صورتها الأصلية بل جاءت مقتبسة في تاريخ المؤرخين البابليين، على أن من بين ما بقي من هذه الكتب في صورته الأصلية لوحا عثر عليه في "نيبور" كتب عليه الأصل السوماري البدائي لملحمة جلجامش (والتي طورت في العهد البابلي)[[2]](#footnote-2) وفي نفس المجال الجغرافي تقريبا ازدهرت الحضارة الأكادية في أواخر الألف الثالث ق.م، التي عرفت تقدما كبيرا في العمارة والفنون. ومنذ الألف الثالث ق.م ظهرت أيضا الحضارة الأشورية التي تميزت بتوسعات مجالية كبيرة جعلت الآشوريين ينشؤون إحدى أكبر الإمبراطوريات في تاريخ الشرق القديم.

بعد سقوط إمبراطورية الآشوريين خلفتها في العراق القديم الحضارة الكلدانية التي ساهمت بدورها في استمرار الإشعاع الحضاري للشرق القديم، كما شهدت المنطقة بروز إحدى أهم الحضارات الشرقية، وهي الحضارة البابلية منذ القرن 18 ق.م، التي تميزت بازدهار المعارف والعلوم المختلفة، وإليها تعود إحدى أقدم التشريعات في تاريخ الإنسانية والتي تعد من أولى الشرائع المتكاملة في العالم حيث تجمع بين القانونين المدني والعقوبات فضلا عن الأحوال الشخصية، ويتعلق الأمر بقانون حمورابي. وفي العصر البابلي حدث تطور مهم في العلوم والمعارف البشرية، حيث انتقلت من أطوارها العملية إلى طور التدوين والبحث، بحيث يصح أن نرجع بداية ظهور العلوم البشرية الحقة إلى هذا العصر[[3]](#footnote-3).

 ولم تذر هذه الحضارة من الأدب الكثير إذ خلفت ملحمتان لهما أهمية عظمى، أولهما ملحمة "أنيوما إيليش" أو تعرف بـ "ملحمة الخلق" وتروي كيف أن ("مردوك" Marduk) إله مدينة بابل ذبح التنين (تيامات Tiamat) وخلق من جسمه العالم وكافأته الآلهة على صنيعة بأن وهبته حكما عالميا، أما الثانية فهي ملحمة (جلجامشGilgamesh) وتعتبر أهم إنتاج أدبي باللغة الأكادية يعتقد أنها ألفت ما بين (668. 627 ق.م) و هي مكتوبة [بخط مسماري](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D8%B7_%D9%85%D8%B3%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%8A) على 12 لوحا طينيا اكتشفت لأول مرة عام [1853](http://ar.wikipedia.org/wiki/1853) م في موقع أثري عُثر عليه بالصدفة وعرف فيما بعد أنه كان المكتبة الشخصية للملك الآشوري [آشوربانيبال](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A2%D8%B4%D9%88%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A8%D8%A7%D9%84)، في "[نينوى](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D9%8A%D9%86%D9%88%D9%89)" في [العراق](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82) ويحتفظ بالألواح الطينية التي كتبت عليها الملحمة في [المتحف البريطاني](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%AD%D9%81_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%B7%D8%A7%D9%86%D9%8A). وتحمل الألواح في نهايتها توقيعا لشخص اسمه "شين إيقي إونيني" الذي يتصور البعض أنه كاتب هذه الملحمة والتي يعتبرها البعض أقدم قصة كتبها الإنسان.

* **ملحمة جلجامش:**

 يروي هذا النص العريق قصة بطل سوماري هو جلجامش ورفيقه (أنكيدو Enkidu) وتضيف عنصرا قصصيا جديدا هو سعي جلجامش ليظل خالدا بعد وفاة صديقه، وما يثير الاهتمام في هذه الملحمة الرواية البالية لقصة الطوفان المشابهة لطوفان سيدنا نوح الواردة في التوراة والتي قصها على جلجامش أحد الناجين من الغرق وهو "أوتنا بشتيم" ( Utna pishtim )

 تبدأ الملحمة بالحديث عن [جلجامش](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B4) ملك [أورك](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%83) الذي كانت والدته إلهة خالدة ووالده بشرا فانيا ولهذا قيل بأن ثُلثيه إله والثلث الباقي بشر. وبسبب الجزء الفاني منه يبدأ بإدراك حقيقة أنه لن يكون خالدا. تجعل الملحمة جلجامش ملكا غير محبوب من قبل سكان أورك حيث تنسب له ممارسات سيئة منها ممارسة الجنس مع كل عروس جديدة، وأيضاً تسخير الناس في بناء سور ضخم حول أورك العظيمة.

 ابتهل سكان أورك للآلهة بأن تجد لهم مخرجا من ظلم جلجامش فاستجابت الآلهة وقامت إحدى الإلهات، واسمها أرورو، بخلق رجل وحي كان الشعر الكثيف يغطي جسده ويعيش في البرية يأكل الأعشاب ويشرب الماء مع الحيوانات؛ أي أنه كان على النقيض تماما من شخصية جلجامش. ويرى بعض المحللين أن هناك رموزا تدل على الصراع بين الناس في الحياة المدنية التي بدأ السومريون بالتعود عليها تدريجيا بعد أن غادروا حياة البساطة والزراعة ويمثل هذا الصراع شخصية [أنكيدو](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%86%D9%83%D9%8A%D8%AF%D9%88).

 كان أنكيدو يخلص الحيوانات من [مصيدة](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9) الصيادين الذين كانوا يقتاتون على الصيد، فقام الصيادون برفع شكواهم إلى الملك جلجامش؛ فأمر إحدى خادمات المعبد بالذهاب ومحاولة إغراء أنكيدو ليمارس الجنس معها؛ وبهذا تبتعد الحيوانات عن مصاحبة أنكيدو ويصبح أنكيدو مروضا ومدنيا. حالف النجاح خطة الملك جلجامش، وبدأت خادمة المعبد – وكان اسمها شمخات تعمل خادمة في معبد الآلهة [عشتار](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%B4%D8%AA%D8%A7%D8%B1)-بتعليم أنكيدو الحياة المدنية؛ ككيفية الأكل وارتداء اللباس وشرب النبيذ، ثم تبدأ بإخبار أنكيدو عن قوة جلجامش وكيف أنه يدخل بالعرائس قبل أن يدخل بهن أزواجهن. ولما عرف أنكيدو بهذا قرر أن يتحدى جلجامش في مصارعة ليجبره على ترك تلك العادة السيئة. يتصارع الاثنان بشراسة؛ فهما متقاربان في القوة، ولكن الغلبة في النهاية كانت لجلجامش، حيث اعترف أنكيدو بقوة جلجامش، وبعد هذه الحادثة يصبح الاثنان صديقين حميمين.

 يحاول جلجامش دائما القيام بأعمال عظيمة ليبقى اسمه خالدا؛ فيقرر في يوم من الأيام الذهاب إلى غابة من أشجار [الأرز](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B1%D8%B2)؛ فيقطع جميع أشجارها، وليحقق هذا عليه القضاء على حارس الغابة، وهو مخلوق ضخم وقبيح اسمه خومبابا. ومن الجدير بالذكر أن غابة الأرز كانت المكان الذي تعيش فيه الآلهة ويعتقد أن المكان المقصود هو غابات أرز لبنان.

 يبدأ [جلجامش](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B4) [وأنكيدو](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%86%D9%83%D9%8A%D8%AF%D9%88) رحلتهما نحو غابات أشجار الأرز بعد حصولهما على مباركة "[شمش](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D9%85%D8%B4)" إله الشمس الذي كان أيضا إله الحكمة عند [البابليين](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A9_%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D9%84%D9%8A%D8%A9) [والسومريين](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%88%D9%85%D8%B1) وأثناء الرحلة يرى جلجامش سلسلة من الكوابيس والأحلام لكن أنكيدو الذي كان في قرارة نفسه متخوفا من فكرة قتل حارس الغابة يطمئن جلجامش بصورة مستمرة على أن أحلامه تحمل معاني النصر والغلبة.

 عند وصولهما الغابة يبدأ كل منهما بقطع أشجارها فيقترب منهما حارس الغابة "[خومبابا](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D9%88%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%A7)" ويدور قتال عنيف بينهم ولكن الغلبة تكون لجلجامش وأنكيدو حيث يقع "خومبابا" على الأرض ويبدأ بالتوسل منهما كي لا يقتلاه ولكن توسله لم يكن مجديا حيث أجهز الاثنان على [خومبابا](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D9%88%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%A7) وأردياه قتيلا. أثار قتل حارس الغابة غضب إلهة الماء "[أنليل](http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A3%D9%86%D9%84%D9%8A%D9%84&action=edit&redlink=1)" حيث كانت "أنليل" هي الإلهة التي أناطت مسؤولية حراسة الغابة [بخومبابا](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D9%88%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%A7).

 بعد مصرع حارس الغابة الذي كان يعتبر وحشا مخيفا يبدأ اسم جلجامش بالانتشار وتنتشر شهرته في الآفاق فتحاول الإلهة "[عشتار](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%B4%D8%AA%D8%A7%D8%B1)" التقرب منه بغرض الزواج لكن جلجامش يرفض العرض فتشعر "[عشتار](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%B4%D8%AA%D8%A7%D8%B1)" بالإهانة وتغضب غضبا شديدا فتطلب من والدها "[آنو](http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A2%D9%86%D9%88&action=edit&redlink=1)"-إله السماء- أن ينتقم لكبريائها فيقوم "آنوط بإرسال ثور مقدس من السماء لكن أنكيدو يتمكن من الإمساك بقرن الثور ويقوم جلجامش بالإجهاز عليه وقتله.

 بعد مقتل الثور المقدس يعقد الآلهة اجتماعا للنظر في كيفية معاقبة جلجامش وأنكيدو لقتلهما مخلوقا مقدسا فتقرر الآلهة قتل أنكيدو لأنه كان من البشر أما جلجامش فكان يسري في عروقه دم الآلهة من جانب والدته التي كانت إلهة فيبدأ المرض المنزل من الآلهة بإصابة أنكيدو الصديق الحميم لجلجامش فيموت بعد فترة.

 بعد موت أنكيدو يصاب جلجامش بحزن شديد على صديقه الحميم حيث لا يريد أن يصدق حقيقة موته فيرفض أن يقوم أحد بدفن الجثة لمدة أسبوع إلى أن بدأت الديدان تخرج منها. يقوم جلجامش بدفن أنكيدو بنفسه وينطلق شاردا في البرية خارج "أورك" وقد تخلى عن ثيابه الفاخرة وارتدى جلود الحيوانات. بالإضافة إلى حزن جلجامش على موت صديقه الحميم أنكيدو كان جلجامش في قرارة نفسه خائفا من حقيقة أنه لابد من أن يموت يوما لأنه بشر والبشر فانٍ ولا خلود إلا للآلهة. بدأ جلجامش في رحلته للبحث عن الخلود والحياة الأبدية ولكي يجد سر الخلود عليه أن يجد الإنسان الوحيد الذي وصل إلى تحقيق الخلود وكان اسمه "أوتنابشتم" والذي يعتبره البعض مشابها جدا إن لم يكن مطابقا لشخصية [نوح](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D9%88%D8%AD) في الأديان [اليهودية](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%8A%D9%87%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9) [والمسيحية](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B3%D9%8A%D8%AD%D9%8A%D8%A9) [والإسلام](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85). وأثناء بحث جلجامش عن "أوتنابشتم" يلتقي بإحدى الإلهات واسمها "[سيدوري](http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%B3%D9%8A%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%8A&action=edit&redlink=1)" التي كانت آلهة النبيذ وتقوم "سيدوري" بتقديم مجموعة من النصائح إلى جلجامش والتي تتلخص بأن يستمتع جلجامش بما تبقى له من الحياة بدل أن يقضيها في البحث عن الخلود وأن عليه أن يشبع بطنه بأحسن المأكولات ويلبس أحسن الثياب ويحاول أن يكون سعيدا بما يملك لكن جلجامش كان مصرا على سعيه في الوصول إلى "أوتنابشتم" لمعرفة سر الخلود فتقوم "سيدوري" بإرسال جلجامش إلى الطَوَّاف "[أورشنبي](http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A3%D9%88%D8%B1%D8%B4%D9%86%D8%A8%D9%8A&action=edit&redlink=1)" ليساعده على عبور بحر الأموات ليصل إلى "أوتنابشتم" الإنسان الوحيد الذي استطاع بلوغ الخلود.

 عندما يجد جلجامش [أوتنابشتم](http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A3%D9%88%D8%AA%D9%86%D8%A7%D8%A8%D8%B4%D8%AA%D9%85&action=edit&redlink=1) يبدأ الأخير بسرد قصة الطوفان العظيم الذي حدث بأمر الآلهة وقصة الطوفان هنا شبيهة جدا بقصة طوفان نوح، وقد نجى من الطوفان أوتنابشتم وزوجته فقط وقررت الآلهة منحهم الخلود. بعد أن لاحظ أوتنابشتم إصرار [جلجامش](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B4) في سعيه نحو الخلود قام بعرض فرصة على جلجامش ليصبح خالدا إذا تمكن من البقاء مستيقظا دون أن يغلبه النعاس لمدة 6 أيام و7 ليال بهذا سيصل إلى الحياة الأبدية ولكن جلجامش يفشل في هذا الاختبار إلا أنه ظل يلح على أوتنابشتم وزوجته في إيجاد طريقة أخرى له كي يحصل على الخلود. تشعر زوجة أوتنابشتم بالشفقة على جلجامش فتدله على عشب سحري تحت البحر بإمكانه إرجاع الشباب إلى جلجامش بعد أن فشل مسعاه في الخلود، يغوص جلجامش في أعماق البحر في أرض الخلود [دلمون](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%84%D9%85%D9%88%D9%86) ([البحرين](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D9%86) حاليا) ويتمكن من اقتلاع العشب السحري.

 تنتهي القصة بعودة جلجامش إلى أورك بعد حصوله على العشب السحري الذي يعيد نضارة الشباب ويقرر أن يجربه على رجل طاعن في السن قبل أن يقوم هو بتناوله ولكن في طريق عودته يتوقف ليغتسل في النهر فتسرق العشب إحدى الأفاعي وتتناوله.

 يرجع جلجامش إلى أورك خالي الوفاض وفي طريق العودة يشاهد السور العظيم الذي بناه حول أورك فيفكر في قرارة نفسه أن عملا ضخما كهذا السور هو أفضل طريقة ليخلد اسمه. في النهاية تتحدث الملحمة عن موت جلجامش وحزن أورك على وفاته[[4]](#footnote-4).

1. **الأدب في بلاد مصر القديمة**:

 ساهمت الحضارة الفرعونية في مصر ومنذ الألف الثالثة ق.م بقسط كبير في تطور الحضارة الإنسانية، ومارست تأثيرا كبيرا على باقي شعوب العالم القديم. فقد كان للفراعة دور كبير في ظهور الكتابة من خلال استعمال الكتابة الهيروغليفية، وبها دونوا أساطيرهم الدينية وما توصلوا إليه من تطور في شتى العلوم على ورق البردي وباستعمال الحبر. كما برع المصريون القدماء في الأدب الديني الذي تناول العقائد الدينية ونظرياتهم عن الحياة الأخرى وأسرار الكون والأساطير المختلفة للآلهة.

 ومنذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد ظهر على مسرح الشرق القديم شعب آخر تسلم مشعل الحضارة الشرقية القديمة وأثراها بإبداعاته وابتكاراته الخاصة، ويتعلق الأمر بالشعب الفينيقي الذي استوطن الشريط الساحلي السوري اللبناني. لقد نقل الفينيقيون بحكم موقعهم في شرق المتوسط، وبسبب أعمالهم التجارية التي مكنتهم من التواصل مع شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط، إبداعات حضارات الشرق القديم إلى مستوى "العالمية"، وجعلوا إرث حضارات الشرق القديم في متناول الحضارات الأوربية القديمة، ولقد تمكن هذا الشعب الشرقي القليل العدد من تحقيق إنجازات سوف يخلدها التاريخ وإلى الأبد، ولعل أبرزها على الإطلاق هو اختراع الكتابة الأبجدية وتقليص عدد الرموز الكتابية، التي كان قد توصل إليها السوماريون والمصريون قبلهم، إلى عدد محدود من الحروف ذات صورة سمعية محددة.

 ومن أهم الأساطير الفنيقية أسطورة" أوربا وقادوموس" والتي تروي أن الإله زيوس كبير أرباب اليونان قام باختطاف الجميلة "أوروبا" ابنة أجينور ملك صور بعد أن حول نفسه إلى ثور ومضى بها عبر البحر، أمر أجينور ابنه قادوموس أن يذهب للبحث عن شقيقته ولا يعود ألاّ وهي معه، فأخذ الابن برفقته والدته وشقيقيه، ولم يبق مع الأب غير الابن فوينيقس فينيق الذي مثل فكرة بلاد فنيقيا، وقد باءت محاولة البحث عن الشقيقة بالفشل فماتت الأم حزناً على ابنتها أما الأشقاء الثلاثة فلم يرجعوا خوفا من والدهم.

1. **الأدب الهندي القديم**:

 ومن أهم الآداب في الشرق القديم أيضا الأدب الهندي القديم، بدأ الأدب الهندي بالفيدا، وفيدا هي كلمة سنسكريتية تعني المعرفة. وكانت هذه سلسلة من النصوص المقدسة في اعتقادهم، تستعمل في الطقوس الدينية والقرابين الوثنية، وتشكّلت في أشكالها الأولية من اللغة [السنسكريتية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%86%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%AA%D9%8A%D8%A9) القديمة (المعرفة السنسكريتية). وحتى في الأزمنة الحديثة، تُعدّ الفيدا حجر الأساس في الديانة الهندوسية. وأقدم صيغ ونصوص الفيدا هي ما يُسمى فيدا التجهيز أو الإعداد، التي يرجع تاريخها إلى [القرن الرابع عشر قبل الميلاد](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B9_%D8%B9%D8%B4%D8%B1_%D9%82%D8%A8%D9%84_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%84%D8%A7%D8%AF&action=edit&redlink=1). ومعظمها تراتيل للآلهة الفيدية.

 وقد كتبت ملاحق نثرية عديدة للفيدا السابقة لعهد النصرانية. فأولاً كانت "البراهمانا"؛ أي: تفسيرات الكهنة للمذهب و"الأرانيكا" أي: بحوث الغابة، التي تناقش وظيفة وغرض طقوس القربان، وتتأمل في العلاقة بين الإنسان والعالم. والنصوص اللاحقة والمُسماة "[الأبانيشاد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%A8%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%B4%D8%A7%D8%AF)" أي: التعاليم الروحية تُكملُ هذا البحث في طبيعة الحياة. وتعدّ هذه التعاليم أعمالاً عظيمة في الفكر الروحي والفلسفي.

أما الملاحم الشعرية فأشهرها ملحمة "الـمهابهارتا" أو ما يسمى أيضا "البهارتا العظيم" أو "كبرى مآثر أبناء بهرتا" واحدة من الملحمتين السنسكريتيتين اللتين شكَّلتا معًا التربةَ الخصبة والمعينَ الثرّ للأدب الهندوسي، الحكمي والدنيوي، اللاحق برمته. ومتى جيء على ذكر الـملحمة، بالتعريف، فالمقصود هو الـمهابهارتا الذي يشكل بامتداده الطويل مئة ألف دوبيت (بيتان من الشعر برويٍّ واحد).

وبداية تأليف هذا العمل الملحمي العملاق تعود، بحسب الدراسات، إلى الفترة ما بين عامَي 500 و400 ق م[[5]](#footnote-5).

وتعد الرامايانا الملحمة الثانية بعد المهابهارتا، تقدم صورة واضحة عن الفكر والدّين في الحضارة الهندوسية والهند القديمة، وقد ظهرت في القرن الثالث قبل الميلاد على هيئة تراتيل شعرية، وظلت الملحمة تطور ويضاف إليها على مدى القرون، وتنسب صياغتها النهائية إلى الشاعر الهندي فالميكي في القرن الأول قبل الميلاد، تتكون الملحمة من 24 ألف بيت موزعة في سبعة فصول، وقد أضيف الفصل السابع بعد فترة طويلة من تأليفها، وفيها يتحدّث الشاعر [فالميكي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%83%D9%8A) عن الملك الصالح راما ومعركته مع الشيطان رافانا.

 وتأتي بعد ذلك النصوص المُسماة بيورانا؛ أي: المعرفة التقليدية، والبيورانا الرئيسية هي 18 مجموعة موسوعية للقصص [والأساطير](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B7%D9%8A%D8%B1). وقد جُمعت بين القرنين السادس والحادي عشر الميلاديين. وهي تُنمّي الأفكار الهندوسية الكلاسيكية من خلال قصص الآلهة والأبطال في السهول المقدسة [والجبال](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A8%D8%A7%D9%84) [والأنهار](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D9%87%D8%A7%D8%B1) في [الهند](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF).

 ويعد كذلك كتاب" بيدبا وبيل با" وهو كليلة ودمنة في العربية من أشهر الكتب في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس.

* **كتاب" بيدبا وبيل با":**

 وضعه بيدبا الحكيم في اللغة السنسكريتية لملك من ملوك الهند يقال له دبشليم، نقله برزويه الحكيم إلى اللغة الفهلوية لنوشيران سنة 531م، ثم ترجمه ابن المقفع من الفهلوية إلى العربية وهناك من يرجع هذه المجموعة القصصية للفرس لكن ابن النديم يرى أنه من الهند فيقول:" وكتاب السندباد نسختان كبيرة وصغيرة والخلاف فيه مثل الخلاف في كليلة ودمنة والغالب والأقرب إلى الحق أن تكون الهند صنفته".

 سمِّي( بنجا تنترا)، أي الفصول الخمسة. ألَّفه فيلسوف فاضلٌ من البراهمة يدعى (بيديا)،كان في نظر تلامذته "الحكيم الفاضل واللبيب العاقل"، ويُقال إنّ ملك الفرس كسرَي آنوشروان (531-579م) أمر بترجمته إلى اللغة البهلويّة -وهي اللغة الفارسِّية القديمة- واختار لهذه المهمة طبيبه برزويه لعلمه ودهائه . ثم اختار ابن المقفَّع هذا الكتاب لترجمته الى اللغة العربية لغايات يُدركها القارئ المتمعن واسماها بكليلة ودمنة.

 وشخصيَّات الكتاب هي حيوانات برية تعيش في الغابة، فكليلة ودمنه هما اثنان من حيوان ابن آوى والملك أسدٌ، وخادمه ثورٌ اسمه شتربة، وغيرها من حيوانات الغابة التي تدور معظم القصص على ألسِّنتها، يدور حديث الحيوانات فيه عن الخير والحكمة والأخلاق الحميدة في بناء المجتمع المتداخل بحياة اجتماعيَّةٍ ترتقي بأبنائه، وتتبع نمط الحكاية المثلية - قصة على لسان الحيوان يراد بها معالجة واقِّع الإنسان - فهو إذاً كتابٌ وضع على ألسنة البهائم والطيور يحتوي على العديد من الايحاءات والرموز لإيصال تعاليم أخلاقيَّة موجَّهة إلى أفراد المجتمع كافةً من حاكم ومواطن . كتاب كليلة و دمنة مليء بحكايات الحيوان، لا يكاد يخلو منها بابٌ من أبوابه، وفي كل باب حكاية طويلة تتداخل فيها حكايات قصيرة.

 فهو كتاب هادف وليس مجرَّد سرد لقصص وحكايات من عالم الحيوان، بل يهدف إلى النصح الأخلاقي وإصلاح المجتمع، وفيه العديد من التَوجيهات السياسِّية. فأبوابه تتحدث عن مواضيع مختلفة

فباب الحمامة المطَّوقة يحُّث على التعاون، وباب الأسَّد وخادمه يتناول خفايا السياسَّة الدَّاخلية في الدَّولة. بينما يتناول باب البوم و الغربان السياسَّة الخارجيَّة. وغيرها العديد من الأبواب من باب القرد والغَيلم، الناسك وابن عرس، الأسد و ابن آوى، اللبؤة والأسوار والشغبر، الناسك والضيف، الحمامة والثعلب ومالك الحزين.

 فيحتوي الكتاب على أربع مقدمات وأربعة عشر حكاية رئيسيَّة تم توزيعها على خمسة عشر بابًا.

ومن القصص المشهورة أيضا في الأدب الهندي القديم " بوذا سف وبلوهر" التي ترجمت من السنسكريتية إلى العربية وأصلها السنسكريتي" بدهى ستوبر دهتير"[[6]](#footnote-6).

1. **الأدب الفارسي:**

 أما الأدب الفارسي القديم فقد كان لكتاب "الشاهنامة" للفردوسي أهمية كبيرة خلال العصر الذهبي للآداب الفارسية، لذلك سوف نتناول هذا العمل الأدبي الملحمي بنوع من التفصيل.

يعد الكتاب رسالة تتكون من كلمتين: شاه: وتعني الملك، نامة: كتاب أو رسالة، أي رسالة الملك.

وتذكر المصادر أن كتاب" الشاهنامة " قد بدأ تأليفه على يد شاعر من شعراء البلاط الساماني وهو الدقيقي لتخليد التاريخ الايراني القديم. لكنه لم يكد ينهي 990 بيتاً حتى قتل على يد غلام له عام 368 هـ و هو في عنفوان الشباب، فأكمل أبو القاسم بن علي الفردوسي نظم ما تبقى من الكتاب، وهو ملحمة شعرية تقع في ستين ألف بيت شعري، والملحمة هي" قصة شعرية قومية بطولية خارقة للمألوف يختلط فيها الخيال بالحقيقة والتاريخ بالأساطير، وتطول قصائد هذا اللون من الشعر حتى تصل إلى آلاف الأبيات، ولكنها على طولها تتسم بالوحدة الفنية والموضوعية."، ويذكر في سبب نظم الفردوسي لها أنه كان دهقانا وكان يعتمد في معيشته على ما تغله له بعض الضياع ولم يكن له من عقب غير ابنة واحدة أراد أن يحسن تجهيزها فدفعه ذلك إلى نظم ملحمته الطويلة لعله يجد من أصحاب الجاه والسلطان من يهديها إليه فيجزيه الجزاء الأوفى على ما تجشم من تعب دائب وجهد طويل متصل فلما فرغ منها بعد ثلاثين سنة وكان ذلك في سنة 999م-389ه أعطاها لكاتبه" علي ديلم" فنسخها ولراويه" أبي دلف" فأنشدها [[7]](#footnote-7) .

ولما فرغ "علي ديلم "من نسخ الشاهنامة في سبعة مجلدات حملها الفردوسي ويمم وجهه شطر "غزنة" مصطحبا معه راويته " أبا دلف" [[8]](#footnote-8)

ولما قدمها للسلطان محمود الغزنوي أعجب بها إعجابا عظيما لكن بعض الوشاة اتهموا الفردوسي بالتشيع، وذكروا للسلطان قوله:

"**مرا غمز كردند كان يرسخن بمهر نبى وعلى شد كهن**

ومعناها:

**لقد عابوني فقالوا: إن هذا المتشدق الثرثار**

**قد شاب على حب النبي وعلي وتقدمت به السنون والأعمار**...!"**[[9]](#footnote-9)**

 وبذلك لم يجازيه إلاّ بعشرين ألف درهم مقابل الشاهنامة، " فغضب الفردوسي غضباً شديدا وذهب إلى الحمام فاغتسل ثم خرج منه وشرب فقاعا وقسم النقود بين صاحب الحمام وبائع الفقاع.[[10]](#footnote-10)

الأمر الذي اغضب السلطان فقرر قتله. فلجأ الفردوسي الى "[**هرات**](https://www.marefa.org/%D9%87%D8%B1%D8%A7%D8%AA)" مختفياً فيها سته أشهر في حانوت اسماعيل الوّراق. ثم سافر من هناك إلى "[**طوى**](https://www.marefa.org/index.php?title=%D8%B7%D9%88%D9%8A&action=edit&redlink=1)" فأخذ منها نسخة أخرى من الشاهنامة وقصد "[**طبرستان**](https://www.marefa.org/index.php?title=%D8%B7%D8%A8%D8%B1%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86&action=edit&redlink=1)**"**حيث أضاف إليها مائة بيت في هجاء السلطان محمود. ويذكر [النظامي العروضي](https://www.marefa.org/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D9%88%D8%B6%D9%8A&action=edit&redlink=1) أن تلك الأبيات قد فقدت فيما بعد، ولم يبق منها سوى ستة أبيات [[11]](#footnote-11).

 وتورد بعض المصادر أن الفردوسي كان مسلما والدليل على ذلك تحدثه عن التوحيد حيث يقول في الشاهنامة:" أيها المتفلسف الثرثار، لن أسلك طريقك الذي توصيني به، لأنه لا عقيدة أفضل من التوحيد، حيث أن الله واحد شئت أم أبيت، إنك تقبل الشيء الذي تراه، وأعلم أن الله هو غير الذي تفكر به أنت، حيث الله الأحد، وأن عقيدة التوحيد هي الأصالة دون غيرها**"[[12]](#footnote-12)**

 لكن نجد في مصادر أخرى من يتهم الفردوسي بأنه مجوسي، وقد أبدى حقدا دفينا تجاه المسلمين في شاهنامته، وسخر من العرب وأصولهم، لكن الأمر الذي لا خلاف فيه أن الفردوسي تأثر باللغة العربية حيث تخللت الشاهنامة كلمات عربية بلغت الستين بالمئة، حيث ناهزت الخمسمائة كلمة هذا فضلا عن الآثار الإسلامية التي وردت فيها من معاني وشخصيات إسلامية وبطولاتهم.[[13]](#footnote-13)

 والشاهنامة تجمع معظم ما وعى الفرس من أساطيرهم وتاريخهم من أقدم عهودهم حتى الفتح الإسلامي تبدأ بالتحدث عن أول البشر وبداية الخلق ثم ترتب ترتيبا تاريخيا: تذكر الأسرة فتبدأ بأول ملوكها تبين تاريخه، وما كان في عهده من الحادثات ثم تذكر الملك الثاني وهكذا. ويستمر القصص فيها 3874 سنة تحكم فيها أربع دول.

 هي الييشدادية والكيانية والأشكانية والساسانية.

 وقد حوت هذه الملحمة مواعظ تدعو إلى الفضيلة والأخلاق السامية والتي نلمس من خلالها تأثر الفردوسي بالدين الإسلامي بغض النظر عمّا قيل في حقه، ومن أمثلة ذلك قوله في مطلع الملحمة:

اسم الله خالق الحياة والعقل، الله الذي يرزق ويهدي، الله رب الكون، والنور الأزلي، وأعلى من التصور في الخيال، ولابد للإنسان أن يعبد الله لأنّه أهل للعبادة.**[[14]](#footnote-14)**

أما في موطن آخر فيقول عن الكذب والنفاق**:**

الكلام المعسول والمزين والنفاق والكذب لا شأن له أمام أنظار العقلاء، ومن يتخلّ عن عمل الخير فإنه سينحرف ويضل على السواء. الكذب يسوّد وجه الإنسان ويحول دون سموه[[15]](#footnote-15).

وفي الكسل يقول:

تخلّ عن الكسل، واسع وابذل جهدك حتى تقطف ثمار عملك. ففي هذه الدنيا لا ثمار بلا تعب، فالكنز يكمن في السعي وبذل الجهد، وبدونه لا ينال الإنسان ذلك الكنز[[16]](#footnote-16).

 ومن أشهر المنظومات الشعرية التي عرفت عند الفرس القدامى أيضاً منظومة "درخت آسوريك" أو شجرة نسب الآشوريين، والمنظومة حوار ومناظرة بين هذه النخلة وفائدتها والعنزة؛ منظومة "يادكار زريران" أو "سيرة زريران"، وهي أقدم المنظومات الحماسية الإيرانية، وموضوع هذه المنظومة هو الحرب بين كشتاسب وأرجاسب الطوراني دفاعًا عن الدين الزرادشتي؛ ومنظومة "جاماسب نامة" وهي منظومة تشتمل على تنبؤات جاماسب الحكيم وزير كشتاسب بالحوادث التي ستحدث في ختام الألف عام الأولى بعد زرادشت؛ وأناشيد (غاتها) وهي الأناشيد الدينية التي كانت جزءًا من الكتاب الديني للزرادشتية[[17]](#footnote-17).

1. -جورج فيلهلم فريدريش هيجل: العالم الشرقي، ترجمة عبد الفتاح إمام، دار التنوير، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2007، ص13. [↑](#footnote-ref-1)
2. - ويل ديورانت: قصة الحضارة، ج1، 1935، ص89. [↑](#footnote-ref-2)
3. - ينظر طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق للنشر، ط1، 2011، ص 67. [↑](#footnote-ref-3)
4. - ينظر طه باقر: ملحمة كلكامش، دار الشرق للنشر والتوزيع، ط1، 2016. [↑](#footnote-ref-4)
5. - المهابهارتا: ملحمة الهند الكبرى، ترجمة وتقديم عبد الإله الملاح، دار ورد، دمشق، 2002، ص 15. [↑](#footnote-ref-5)
6. - مجلة عالم الفكر: الملاحم، أحمد أبو زيد، العدد الأول، المجلد16، ماي 1985، ص 43. [↑](#footnote-ref-6)
7. - ادوارد جرانقيل براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى سعدي، ترجمة إبراهيم أمين السواربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ص 157. [↑](#footnote-ref-7)
8. - المرجع نفسه، ص 158. [↑](#footnote-ref-8)
9. - المرجع نفسه، ص159. [↑](#footnote-ref-9)
10. - المرجع نفسه، ص160. [↑](#footnote-ref-10)
11. - المرجع نفسه، ص161. [↑](#footnote-ref-11)
12. - ادوارد جرانقيل براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى سعدي، ص200. [↑](#footnote-ref-12)
13. - أحمد محمد الحوفي، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ص288. [↑](#footnote-ref-13)
14. - ادوارد جرانقيل براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى سعدي، ص 17. [↑](#footnote-ref-14)
15. - المرجع نفسه، ص 114. [↑](#footnote-ref-15)
16. - المرجع نفسه، ص 234. [↑](#footnote-ref-16)
17. - المرجع نفسه، ص 278. [↑](#footnote-ref-17)